مجالس القرآن الكريم مع الشيخ ربيع المدخلي في رمضان

قال الحافظ إبن كثير عنده قوله تعالى :

﴿وعلّم آدم الْأسْماء كلّها ثمّ عرضهمْ على الْملائِكةِ فقال أنْبِئوني بِأسْماءِ هؤلاءِ إِنْ كنْتمْ صادِقِين[٣١] قالوا سبْحانك لا عِلْم لنا إِلّا ما علّمْتنا إِنّك أنْت الْعلِيم الْحكِيم[٣٢] قال يا آدم أنْبِئْهمْ بِأسْمائِهِمْ فلمّا أنْبأهمْ بِأسْمائِهِمْ قال ألمْ أقلْ لكمْ إِنِّي أعْلم غيْب السّماواتِ والْأرْضِ وأعْلم ما تبْدون وما كنْتمْ تكْتمون﴾ [البقرة:٣٣]

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة، بما اختصه به من عِلم أسماء كلّ شيء دونهم، وهذا كان بعد سجودهم له، وإنما قدم هذا الفصل على ذاك، لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة، حين سألوا عن ذلك، فأخبرهم [الله] تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون؛ ولهذا ذكر تعالى هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم، فقال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)

وقال السدي، عمن حدثه، عن ابن عباس: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) قال: عرض عليه أسماء ولده إنسانًا إنسانًا، والدواب، فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس.

وقال الضحاك عن ابن عباس: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وسماء، وأرض، وسهل، وبحر، وجمل ، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير، من حديث عاصم بن كليب، عن سعيد بن معبد، عن ابن عباس: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) قال: علمه اسم الصحفة والقِدر، قال: نعم حتى الفسوة والفُسَيَّة .

وقال مجاهد: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) قال: علمه اسم كل دابة، وكل طير، وكل شيء.

وكذلك روي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف: أنه علمه أسماء كل شيء، وقال الربيع في رواية عنه: أسماء الملائكة. وقال حميد الشامي: أسماء النجوم. وقال عبد الرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته كلهم.

واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية؛ لأنه قال: (ثُمَّ عَرَضَهُمْ) وهذا عبارة عما يعقل. وهذا الذي رجح به ليس بلازم، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب. كما قال: وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [النور: ٤٥] .

[وقد قرأ عبد الله بن مسعود: "ثم عرضهن" وقرأ أبي بن كعب: "ثم عرضها" أي: السماوات] .

والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها: ذواتها وأفعالها؛ كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفُسَية. يعني أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر؛ ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من كتاب التفسير من صحيحه: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام، حدثنا قتادة،

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال – وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زُرَيع، حدثنا سعيد، عن قتادة عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال –: "يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا؟ فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ويذكر ذنبه فيستحيي؛ ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتونه فيقول: لست هُنَاكُم. ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحيي. فيقول: ائتوا خليل الرحمن، فيأتونه، فيقول: لست هُنَاكم؛ فيقول: ائتوا موسى عَبْدًا كَلمه الله، وأعطاه التوراة، فيأتونه، فيقول: لست هُنَاكُمْ، ويذكر قَتْلَ النفس بغير نفس، فيستحيي من ربه؛ فيقول: ائتوا عيسى عَبْدَ الله ورسولَه وكَلِمةَ الله وروحه، فيأتونه، فيقول: لست هُنَاكُم، ائتوا محمدًا عبدًا غَفَر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأنطلق حتى أستأذن على ربي، فيُؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعتُ ساجدًا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يُسْمَع، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمُنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه، وإذا رأيت ربي مثله ، ثم أشفع فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة اضغط هنا ، ثم أعود الرابعة فأقول: ما بقي في النار إلا مَنْ حبسه القرآن ووجب عليه الخلود" .

تعليق الشيخ ربيع بن هادي المدخلي

في هذه الآية بيانٌ لفضل آدم عليه الصلاة و السلام و شرَفِهِ و مرتبته و فضله على الملائكة (...) قال الله تعالى : ﴿ قالوا أتجْعل فِيها منْ يفْسِد فِيها ويسْفِك الدِّماء ونحْن نسبِّح بِحمْدِك ونقدِّس لك ...﴾ إستفهاما ليعرفوا الحقيقة و أخبرهم الله تبارك و تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ثم علّم آدم الأسماء كلها ليبين فضله و مكانته أسماء كل شيء من السماء و الأرض و الجبال و البحار و ما شاكل ذلك علّمه الله أسماء هذه الأشياء سبحانه وتعالى ليريهم فضل آدم عليه الصلاة و السلام الذي (...) أنَّ ذريته سيفسدون في الأرض و يسفكون الدماء ثم أخبر تعالى أنه يعلم و يُقدر أنه يحصل الفساد بسفك الدماء لكن هناك مصلحة أعظم راجحة على هذه المفسدة هو أنَّ في ذرّية آدم الأنبياء و الصِدِّقون و الشهداء و الصالحون و أوليائه المحبّين (...) و لحكمته سبحانه و تعالى و معرفته و عِمله الواسع بأنه سيوجد أنبياء و صالحون و صدِّقون و شهداء و مجاهدون يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة و يُقيمون المصالح العظيمة التي ترجح و تفوق تلك المفسدة التي تصوّرها الملائكة و إستفسروا عنها ثم بيَّن فضل آدم على الملائكة بتعليمه الأسماء كلَّها فيه فضل العِلم أنت عندك علم قليل و هذا عنده علم غزير هذا أفضل منك تفاوت بين الناس عنده منزلة عند الله تبارك و تعالى

(...) فضل الله آدم عليه الصلا ةوالسلام بهذا العلم الذي شمل الأشياء كلَّها ﴿وعلّم آدم الْأسْماء كلّها ثمّ عرضهمْ على الْملائِكةِ فقال أنْبِئونِي بِأسْماءِ هؤلاءِ إِنْ كنْتمْ صادِقِين[٣١]قالوا سبْحانك لا عِلْم لنا إِلّا ما علّمْتنا إِنّك أنْت الْعلِيم الْحكِيم[٣٢] قال يا آدم أنْبِئْهمْ بِأسْمائِهِمْ...﴾[البقرة:٣٣]

أنبئهم بهذه الأسماء يُبيِّنُ شرفه (...) و عرفوا الحكمة في خلق آدم عليه الصلاة والسلام (...)

(قالوا سبْحانك لا عِلْم لنا) نزَّهوا الله سبحانه وتعالى و قدَّسوه و نزَّهوه عماَّ لا يليق به سبحانه و تعالى و أنهم لا يحيطون بشيءٍ من علمه إلاَّ بما شاء سبحانه و تعالى ليس لنا علمٌ إلاَّ بما علَّمتنا إياهُ (...) فاعترفوا بأنَّ محيط علمه بكل شيء و أنَّهم لا علم لهم إلاَّ ما علّمهم الله إيّاه و هذه الأشياء التي فضَّل بها آدم عليه الصلاة و السلام لم يُعَلّمهم إيَّاها لحكمة منه سبحانه و تعالى لبيان فضل آدم عليه الصلاة و السلام على الملائكة عليهم الصلاة والسلام (قال يا آدم أنْبِئْهمْ بِأسْمائِهِمْ) بأسماء الأشياء التي عُرضت من الجبال و البحار و الأنهار و الدواب بمختلف أصنافها ... أسماء كلّ شيء (...)

﴿... قال ألمْ أقلْ لكمْ إنِّي أعْلم غيْب السّماواتِ والْأرْضِ وأعْلم ما تبْدون وما كنْتمْ تكْتمون﴾[البقرة:٣٣] (...)

ما أبدوه في هذا المقام (قالوا أتجْعل فِيها منْ يفْسِد فِيها ويسْفِك الدِّماء ونحْن نسبِّح بِحمْدِك ونقدِّس لك) هذا الذي أبدوه و الذي أخفوه يقول المُفَسرون هو الشيطان الذي أسَّر في نفسه الكيد و المكر و مخالفة أمر الله و العِداء لآدم عليه الصلاة و السلام هذا لمّا رأى إبليسُ آدم (...) حسداً دبَّر هذه المكيدة من قبل أن يأمر الله ملائكته بالسجود لآدم عليه الصلاة و السلام و لمّا أمر الله بالسجود أبى و إستكبر و كان من الكافرين حسدًا منه لعنة الله عليه (...)

كيف يقال مثلاً إنَّ الشيطان وحده بين هؤلاء كتتم في نفسه الشر و الكيد و البلاء ضدَّ آدم ثم يقول (وأعْلم ما تبْدون وما كنْتمْ تكْتمون) يعني نسب فعل إبليس إليهم قال هذا جانب من قول العرب تقول هُزِمَ الجيش أو قُتل منهم واحد أو قتل بعضهم هزم واحدًا منهم و هزم بعضهم يطلق العرب النون و إن كان الهزيمة و القتل قتل جزئي و حاصل من الواحد أو من البعض و كذلك في هذا الكلام قد يستشكل الإنسان يقول كيف ينسب و الذي أسَرَّ هو واحد مجرد الجواب أنَّ هذا أسلوب عربي ... قد يستشكل الإنسان يقول كيف ينسب إليهم ما أسَرَّه هذا الشيطان الرجيم و هو كان في الملائكة واحد و يُنسب إلى الجميع فعله و ما أسَرّه نُسب إلى الملائكة قالوا هذا كلام العرب و القرآن عربي مبين نزل بلغة العرب ...

الله سبحانه لمّا بين فضل آدم عليه الصلاة والسلام و زال عنهم ما كان خفيَ عنهم من العلم بما يترتب من مصالح بخلق آدم و بين لهم فضل آدم و أنبأهم بما لا يعلمون قال الله تعالى (قال ألمْ أقلْ لكمْ إنِّي أعْلم غيْب السّماواتِ والْأرْضِ وأعْلم ما تبْدون وما كنْتمْ تكْتمون) سبحانه و تعالى و هم يؤمنون بذلك أن الله سبحانه عالم الغيب و الشهادة و لا يخفى عليه خافية فالله علاّم الغيوب يعلم ما في السماوات و ما في الأرض و ما كان و ما سيكون و عَلِمَ الأشياء كلّها قبل إيجادها تبارك و تعالى و سجَّل كُلَّ تلك المعلومات في اللوح المحفوظ

﴿... وكلّ شيْءٍ أحْصيْناه فِي إِمامٍ مبِينٍ﴾[يس:١٢] سجله في اللوح المحفوظ و ما من شيء صغير أو كبير دقيق أو جليل إلاَّ و قد علمه سبحانه أزلاً ثم كتبه في اللوح المحفوظ ثمَّ يُنَفّذه بعد ذلك بإرادته و مشيئته في تهيأة خلقه للقيام بتلك الأفعال سبحانه وتعالى ﴿وعِنْده مفاتِح الْغيْبِ لا يعْلمها إِلّا هو ويعْلم ما فِي الْبرِّ والْبحْرِ وما تسْقط مِنْ ورقةٍ إِلّا يعْلمها ولا حبّةٍ فِي ظلماتِ الْأرْضِ ولا رطْبٍ ولا يابِسٍ إِلّا فِي كِتابٍ مبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]

علمه الله سبحانه و سجّله في كتاب مبين

نسأل الله تبارك و تعالى أن يرزقنا تعظيم ربنا و طاعته و إمتثال أوامره و إجتناب نواهيه و أن يثبتنا على الحق إن ربنا لسميع الدعاء و صلى الله على نبيّنا محمدٍ و على آله و صحبه و سلَّم